المحاضرة رقم (07)

1 ـ مفهوم الإدمان:

الإدمان عادة مرضية تتمثل في تعاطي المواد السامة أو المنشطة أو المهدئة، و من آثار تناولها الرغبة الملحة في مواصلة الفرد لاستهلاكها، و الميل إلى زيادة كمياتها، و تبعية متعاطيها النفسية والجسمية لها.

فالتعاطي يؤدي إلى اعتماد الجسم على العقار، حيث يعجز الجسم عن أداء وظائفه ما لم يتلقى العقار المخدر، و كثرة التعاطي تزيد من قدرة احتمال الجسم على مزيد من التعاطي، و من ثم يضاعف المريض الذي يتعاطاها باستمرار، مما قد يعرضه للتسمم أو الوفاة.

و خصائص الإدمان هي الرغبة الملحة في الاستمرار على التعاطى و الحصول عليه بأي وسيلة، وزيادة الجرعة بصورة متزايدة لتعود الجسم على العقار و الاعتماد النفسي و العضوي عليه، و التعود على العقار يزيد الرغبة في الاستمرار على تعاطيه لما يسببه من شعور بالراحة، و لتحقيق اللذة وتجنب الشعور بالقلق و الألم، و يحدث تعود الجسم بحيث تظهر على المتعاطى اضطرابات عضوية و نفسية شديدة عند امتناعه عن تناول العقار فجأة، و من ثم فإن علاج الإدمان يتطلب رعاية طبية مكثفة و مستمرة لفترة من الوقت داخل إحدى المستشفيات المتخصصة، حسب طبيعة العقار من جسم المدمن و علاج حالته النفسية التي أدت به إلى الاعتماد على أسلوب دفاعي خارجي بديلا لفشل دفاعات الذات في وضع حلول ملائمة، فالتعاطي يصبح سلوكا قهريا إجباريا، و يجد الفرد نفسه منساقا له، و لا يستطيع الامساك عنه أو الامتناع التطوعي عن التعاطي.

و يعرف الإدمان بأنه استعمال الدواء أو العقار أو المخدر بكثرة و باستمرار دون النظر لاعتبارات الممارسة الطبية المقبولة، و قد حددت لجنة الخبراء في بحوث الأمم المتحدة الإدمان بأنه:

أ ـ رغبة غلابة أو حاجة قهرية إلى الاستمرار في تعاطي العقار و الحصول عليه بأي وسيلة.

ب ـ ميل إلى زيادة الجرعة المتعاطاة.

ج ـ اعتماد نفسي و عضوي عام على آثار العقار.

د ـ تأثير ضار بالفرد و المجتمع.

و تعرف منظمة الصحة العالمية **الإدمان** على أنه "حالة من التخدير الوقتي أو المزمن، تضر الفرد والمجتمع، يحدثها الاستهلاك المتكرر للعقار أو المخدر الطبيعي أو المركب صناعيا، و تتسم بالرغبة الغالبة أو الحاجة القهرية إلى الاستمرار في تعاطي المخدر و الحصول عليه بأية وسيلة، و الميل إلى زيادة الجرعة و الاعتماد نفسيا، و أحيانا بدنيا على أثار العقار أو المخدر، و عندما يكون هناك اعتماد

بدني على المخدر فإن الحرمان منه يؤدي إلى أعراض معينة هي أعراض الحرمان من تعاطي العقار، و إدمان المخدرات عرض أساسي في الشخصية، ومعناه أن فسيولوجية الجسم قد تغيرت تماما بالتعاطي المتكرر للمخدر".

و يقتضي تكيف الجسم مع مفعول المخدر زيادة الجرعة للحصول على النتيجة المرغوبة، و يعني أيضا الحالة التي يتكون فيها التشوق لتعاطي المخدر، بسبب ما يحدثه من شعور بالراحة، و هذا التشوق ليس وراءه قوة مكرهة، و هو حالة ينتج عنها تكيف و تعود الجسم على العقار، مما يؤدي إلى ظهور اضطرابات نفسية و عضوية شديدة لدى المتعاطين، و خاصة عندما يتم تناول العقار بصورة مفاجئة، و يتضمن الاعتماد العضوي الجسمي حالة فسيولوجية معدلة ناشئة عن طول فترة استخدام العقار، و تتميز بظهور أعراض الانسحاب عند التوقف عن استخدامه.

و الإدمان هو الإفراط في الاستعمال بصورة متصلة أو دورية بمحض اختيار المتعاطي، دون ارتباط بالاستعمال الطبي المطلوب، و الموصوف بواسطة الطبيب بهدف الشعور بالراحة أو بما يخيل للمتعاطي بأنه شعور بالراحة، أو بدافع الفضول أو لاستشعار خبرة معينة، و سوء الاستعمال لا يصل إلى درجة الإدمان، و إن كان التفريق بينهما أحيانا صعبة للغاية، و ذلك لأن سوء الاستعمال يتخذ طابعا من اثنين:

أ ـ الاستعمال المتواصل الذي يقارب الإدمان، مثل سوء استعمال الأفيون أو الخمر أو المنومات. ب ـ سوء الاستعمال العرضي أو غير المتصل لاستشعار خبرة معينة، مثل تعاطي حامض الليسيرجيك أو الحشيش أو المستنشقات، و يعتبر استعمال المسكنات و الأدوية الأخرى بدون وصفة طبية و بصورة متصلة أو عرضية نوعا من أنواع سوء الاستعمال.

و قد يدمن المتعاطى على أكثر من مادة واحدة، و الأنواع التي تحدث إدمانا هي الكحوليات والمخدرات مثل الأفيون و مشتقاته و الكوكايين و الحشيش و العقاقير المختلفة المنشطة و المطمئنة والمنومة.

2 ـ أسباب الإدمان:

إن الإدمان كما اتضح علميا ظاهرة معقدة متعددة الأسباب، و لذلك يعتمد على عوامل أساسية تدعو الفرد للإدمان بترتيب الأهمية:

1 ـ الآلام الجسمية الدائمة من مرض مستعص.

2 ـ ضغط العمل المستمر.

3 ـ عدم التوافق الأسري بين الزوجين.

4 ـ أمراض العصاب و الذهان.

5 ـ الصعوبات المادية و الاقتصادية.

و يرجع الكثير من الباحثين أسباب الإدمان إلى سمات تتعلق **بشخصية المدمن** بحد ذاتها، فالإنسان يحتاج إلى القيم الاجتماعية و المبادئ الأخلاقية و المعتقدات الدينية بقدر حاجته إلى الطعام والشراب و الهواء، فهو يحتاج إلى أن يشعر بوجوده ككائن و بقيمته في المجتمع، لما يحتاج إلى الحرية و إلى هوية ينتسب إليها، لأن الإنسان بحاجة إلى الانتماء إلى شيء محدد، فهو إن لم ينتمي إلى شيء فهو لا شيء، كما يحتاج إلى وجود سلطة تضبط تصرفاته و ترشده إلى ما فيه خير و منفعة و هدوء واستقرار.

و حاول أصحاب هذا الرأي إثبات وجود أنواع معينة من **الشخصيات أو السمات** الخاصة في الأفراد الذين يصابون بالإدمان، و أن هذا النوع من الشخصيات نادر بين الناس بصورة عامة، و لم يتوصل الباحثون حتى الآن إلى إثبات وجود مثل هذا النوع من الشخصية، أما فيما يتعلق ببعض السمات التي تظهر على شخصية الأفراد الذين يدمنون فقد استطاعوا التوصل إلى جزء من هذه السمات عن طريق أسلوب التحليل النفسي، و وصف الشخصية وفق المنهج المتعلق بالطب النفسي و الاختبارات النفسية و دراسة شخصيات مجموعة من الأطفال على مدار السنين، ثم مقارنة من يدمن منهم عند البلوغ بغير المدمنين منهم، و يتلخص رأي التحليل النفسي في أن إدمان الخمر أو العقاقير وسيلة علاج ذاتي يلجأ إليها الشخص لإشباع حاجات طفولية لا شعورية، و عندما ينمو الطفل و يكبر تظهر على شخصيته صفات التثبيت والتي منها السلبية و الإتكالية، عدم القدرة على تحمل التوتر النفسي و الألم و الإحباط أي عدم نضوج الشخصية بصورة عامة، و تصنيفات الطب النفسي للشخصية الإدمانية كثيرة منها الغير الناضجة، المنغمسة في الذات، المعتلة جنسيا، و عقابية الذات، و أخيرا الشخصية المكروبة.

إن كيان الإنسان النفسي الخاص يلعب دورا رئيسيا في احتمال أن يكون الشخص مدمنا أم لا، وبتعبير آخر إن المدمن هو إنسان لديه استعداد نفسي لكي يكون مدمنا، و معظم الذين يقعون في دائرة الإدمان هم بالدرجة الأولى الأفراد الذين لم يتمكنوا من التوافق مع حالتهم، و الذين يخفون اضطرابات نفسية عميقة، قد تعود إلى طفولتهم الأولى، وإلى أساليب التربية المتعمدة في مرحلة الطفولة، إضافة إلى الاضطرابات العائلية بين الزوجين، و تأثيرها على النحو النفسي و الانفعالي، سواء في مرحلة الطفولة أو مرحلة المراهقة أو مرحلة الرشد فيما بعد.

و الاكتئاب هو الاضطراب العقلي الأكثر ارتباطا بالإدمان، خاصة و أنه في علاقة مع مستوى التبعية العالية و الاستعمال المتعدد للمواد المخدرة، فالاكتئاب و الإدمان يتبادلان التأثير أحدهما على الآخر لأن الاكتئاب قد يسبق ويترافق أو يعقب تعاطي المخدرات، و المعايير التشخيصية للحالة الاكتئابية تتسم

بالأرق ، القلق، انعدام الإرادة، سلوكيات العنف و العدوانية، كلها اضطرابات تدفع بالشخص إلى تناول إحدى المواد المخدرة، وذلك بحثا عن النشوة و الراحة، حتى و لو كانت وهمية و غير مستمرة، كما يتسم المدمن بالخجل و الانطوائية و يفضل العزلة و يهرب من الناس، كما أنه لا يقوى على التعبير عن رأيه فيشعر باضطراب شديد حين يضطر للتعامل مع الغير في ظروف اضطرارية، و قد يكتشف هذا الإنسان أن إحدى المواد المخدرة تزيل خجله و تلغي توتره و تطلق لسانه، كما تهدئ من روعه ، فيستطيع التعامل مع الناس بسهولة.

و تشير نتائج بعض البحوث أن أعراض **اضطرابات القلق** لدى الأطفال يمكن أن ينتج عنها، إن لم تعالج، قلق حاد و اكتئاب و استعمال للمواد المخدرة، و في إحدى الدراسات التي استمرت قرابة السبع سنوات على مجموعة من الأطفال يعانون من مختلف أنواع اضطرابات القلق (قلق عام، قلق انفصال، قلق اجتماعي) تبين أن تلقيهم لعلاج ذهني سلوكي لمدة 12 أسبوعا أدى إلى محافظة نسبة جوهرية من أفراد العينة على تحسن ملحوظ من أعراض القلق على المدى الطويل، و عند مقارنة من استجابوا بدرجة أقل إيجابية، تبين أنهم أقل استعمالا للمواد المخدرة و أقل تعرضا لما يصاحب ذلك من مشكلات سلوكية.